نظرة

﴿ في كتب العهد الجديد وفي عقائد النصرانية ﴾

﴿ تابع ما قبله ﴾

(٨) جاء في انجيل متى ١٥: ٢٢ ـ ٢٨ أن امرأة كنعانية صرخت اليه ليشفي ابنتها المجنونة وكانت تقول له «ارحمني يا سيد يا ابن داود» فلم يجبها بكلمة فصارت تصيح وراءه حتى طلب تلاميذه منه صرفها فقال لهم (لم أرسل الا الى خراف اسرائيل الضالة) فجاءت وسجدت له قائلة «يا سيد أعني» فقال لها «ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب» فقالت «نعم يا سيد. والكلاب ايضا تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها» حينئذ شفى لها ابنتها بعد هذا العناء العظيم والالحاح الكبير. فانظر الى مقدار عطفه ورحمته بالضعفاء!! وهو الرجل الذي يقولون انه جاء لخلاص الناس أجمعين. ألا يدل ذلك على ان كل ماجاء في تعاليمه مما يفيد معنى الرحمة والمسامحة والاحسان الى الناس ما كان يريد به الا امته اليهودية فقط لا غيرهم من الامم كما هو صريح عباراته في هذه القصة التي تدل على القساوة المتناهية حتى حركت اعمال المرأة عطف تلاميذه انفسهم قبله ولذلك طلبوا منه اجابة طلبها فأبى اولا. فهذه هي اخلاق هذا الرجل الذي يمدح نفسه بقوله (مت ١١: ٢٩) (لاني وديع ومتواضع القلب) فهل يتفق هذا مع فعله مع المرأة الكنعانية؟ نعم هو وديع ومتواضع القلب ولكن مع من؟ مع الاقوياء من امة اليهود (١) ومع الرومانيين حكامه وحكام أمته!! اما الضعفاء الاجانب فهم

(١) نعم انه لما يئس من اليهود أخذ يسبهم ويلعنهم بأفحش الالفاظ كقوله (مت ٢٣: ١٣ ـ ٣٦) «أيها المراؤون والقادة العميان والجهال والحيات أولاد الافاعي» الخ وقوله لهم (مت ٢١: ٣١ «ان العشارين والزواني (وهم الذين كان يحبهم بنص الانجيل (أنظر مثلا يو ١١: ٥) يسبقونكم الى ملكوت الله» فهذا مثل آخر من أمثلة محبته لاعدائه. ولكن أتدري ماذا حصل له بعد هذا السب مباشرة؟ هم أخذوه وصلبوه =

عنده « كلاب » . فهذا هو مبلغ تعاليمه الداعية الى السلم والرحمة على غلوها احيانا . فهو نفسه كان يخص بها اليهود رغما عن دعواهم الآن انها للبشر اجمعين !!

وهذه القصة تدل على أنه ليس بإله لانه مقيد بارادة من أرسله كما يفهم من قوله (لم أرسل الا الى خراف اسرائيل الضالة) ولذلك تركها يوحنا كعادته وأتى بقصة المرأة السامرية وهي تغايرها بالمرة (يو ٤ : ٧ ـ ٣٠) وغرضه منها ان يظهر ان بعثته كانت عامة فقال انه كان يتكلم مع هذه المرأة السامرية ويطلب الشرب منها مع أن اليهود لا يجوز لهم معاملة السامريين حتى صار تلاميذه يتعجبون من ذلك . وهذه القصة ـ كغيرها مما تقدم ـ تدل على تأخر زمن هذا الانجيل عن الاناجيل التي قبله ولذلك أتى بها ليظهر ان بعثته ليست قاصرة على اليهود كما يفهم من قصة المرأة الكنعانية ومن (مت ١٠ : ٥ و ٦) بل كانت للبشر كافة . اما قول متى ٢٨ : ١٩ (اذهبوا وتلمذوا جميع الامم) ـ فهو ان لم يكن اضافة متأخرة كقول مرقس بدعوة الخليقة كلها (١٦ : ١٥) الذي ثبت عندهم اضافته أيضا كما سبق (في صفحة ٥٠) ـ فالمراد به امم اليهود كافة فانهم ـ كما قال سفر الاعمال ـ كانوا في أورشليم وحدها من كل امة تحت السماء (أع ٢ : ٥ ـ ١٣) فما بالك بمن كانوا في أرض اليهودية كلها ؟ ويؤيد هذا المعنى قول المسيح لتلاميذه مت ١٠ : ٢٣ « فاني الحق أقول لكم لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتي ابن الانسان » فهذه المدن كانت عندهم العالم كله كما اريناك سابقا (ص ١٤ من هذه الرسالة) وعلى ذلك يحمل قوله في مرقس ١٣ : ١٠ « ينبغي ان يكرز اولا بالانجيل في جميع الامم » وقوله في متى ٢٤ : ١٤ « في كل المسكونة لجميع الامم . ثم يأتي المنتهى » ولا تنس قول لوقا ٢ : ١ « صدر امر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة » اي ارض اليهودية خاصة كما قال صاحب « كتاب الهداية » المسيحي في مجلد ٢ ص ٢٥٥ ، وغيره

ومن أمثلة وداعته وتواضعه ورحمته غير ما تقدم ما جاء في انجيل متى (١٨ : ٢١

= وأهانوه شر اهانة ثم قتلوه . فهذه نتيجة شجاعته أمام هؤلاء الاقوياء بعد يأسه منهم وفشله في أمره ! ! كل هذا نقوله ونحن بريئون منه الى الله وانما نقوله الزاما للخصم واظهارا لما نجر اليه قصص هذه الاناجيل

و ٢٢) أن أحد تلاميذه مات أبوه فاستأذنه في الانصراف ليدفنه فلم يقبل وقال له « اتبعني ودع الموتى يدفنون موتاهم » والظاهر من هذا القول ان أبا هذا التلميذ لم يكن مؤمنا به فلذا حقد عليه حتى بعد موته ومنع ابنه من الذهاب ليدفنه ولا ندري ماذا كان يفعل به لو قدر عليه وهو حيّ ؟ فهل هذا خلق الرجل الذي أمر غيره بمحبة الاعداء !! وقد داس بعمله هذا مع تلميذه على أمر التوراة باكرام الوالدين وأيضا بعمله مع أمه مريم ومخاطبته لها بقوله « يو ٢ : ٤ ما لي ولك يا امرأة ». ولكن كان في أول الامر وخوفا من اليهود يقول لهم « مت ٥ : ١٧ لا تظنوا اني جئت لأنقض الناموس أو الانبياء » فما أصدق كلامه هذا وغيره !! وهذه القصة تظهر أيضا أنه ما كان يريد بتعاليمه الداعية الى السلم والرحمة والاحسان اليهود عامة كما قلنا من قبل تساهلا (ص ١٩١) بل كان يريد بها من آمن به فقط من اليهود واتبعه ولذلك قال متى (١٢ : ٤٦-٤٩) إن أمه واخوته جاءوا مرة اليه ووقفوا خارجا طالبين أن يكلموه فأخبره واحد من تلاميذه بذلك فقال « من هي امي ومن هم أخوتي ثم مد يده نحو تلاميذه وقال ها أمي واخوتي لان من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي » يعني من آمن به فقط (١) ولذلك أمر أتباعه ببغض غيرهم

(١) الظاهر من هذه العبارة ومن غيرها في الاناجيل أن مريم أمه وأخوته لم يكونوا به مؤمنين (انظر يو ٧ : ٥ ومر ٣ : ٢١) ، ولا عن أعماله راضين ، فلذا حقد عليهم وكرههم حتى أمه ، وقد بلغ من قسوة قلبها عليه وجوده أنها ذهبت ووقفت عند الصليب لتنظر ابنها وفلذة كبدها وهو مصلوب !! (يو ١٩ : ٢٥-٢٧) فلما رآها بموضع خاطبها مرة أخرى بقوله « يا امرأة » . فهذه هي أخلاق المرأة التي عبدها النصارى منذ القدم ، وهذه هي قيمتها عند ابنها . ولكن صورتها بحسب الاناجيل تغاير صورتها بحسب القرآن الشريف الذي أثنى عليها مراراً وعظمها وقال ان الله اصطفاها وطهرها واصطفاها على نساء العالمين وجعلها للناس آية . فالظاهر أن قصتها في الاناجيل مما دسه اليهود على النصارى ولشدة جهلهم وبعدهم عن التمحيص والتحقيق إذ ذاك دخلت عليهم الغفلة وصدقوهم فيها كما دخلت عليهم في غير ذلك كثيراً وصدقوا قصصهم في فسق أنبياء بني اسرائيل ومعاصيهم الكبيرة الكثيرة وصاروا يدافعون عن هذه القصص الفظيعة ويعتبرونها مقدسة الى الآن !! حاشا لله =

كما سبق (لو ١٤ : ٢٦) فهل هذا هو الامر بالاحسان الى الناس كافة حتى الاعداء ؟ ومتى عمل هو نفسه بذلك أو أتباعه الذين استفاثت الارض من سفكهم دماء بعضهم بعضا لأقل الاسباب ودماء غيرهم من الأمم بغير حق الى الآن . ومن منهم أدار خده الآخر للضاربين (مت ٥ : ٣٩) وأحب اعداءه ؟ أليست هذه التعاليم كلها حبرًا على ورق، وهي مع ذلك غلو مذموم مخالف للعقل والعدل وللطبيعة البشرية، وإيجابها في جميع الاحوال يؤدي الى الفساد بطغيان الاشرار و بتثبيط همة الاصدقاء وتنفيرهم لمساواتهم بالاعداء فيهملون ولا يبالون . ومن منهم ترك ما اعتادوه من الانغماس في الملاذ والشهوات والترف وباع كل ماله كما في لوقا (١٨ : ٢٢) ووزعه على الفقراء ؟ واذا أطاع الناس هذا الامر أتصلح أحوال هذا المجتمع ويتقدم الى الامام أم يبطل فيه كل عمل واختراع واكتشاف واجتهاد مادامت الاموال كلها توزع من الاغنياء على الفقراء بلا عمل ولا حساب ؟ قال ملحدوهم الظاهر ان يسوع ما أمر بذلك إلا حيلة ليتمكن هو وتلاميذه من أخذ أموال الاغنياء ليعيشوا بها بلا عمل سوى التجول من مدينة الى أخرى صارفين في حاجاتهم كلها من أموال غيرهم حتى من النساء (لو ٨ : ١ ـ ٣) كما هو شأن أهل البطالة والكسل المتشردين ، واذا كان كل شيء ينال بالصلاة (كما قال في مت ١٨ : ١٩ و ٢٠) فما حاجته بعد الى أموال الناس التي كان يأخذها منهم ويحملها في صندوق مع يهوذا الاسخريوطي (يو ١٢ : ٦) ؟ فلماذا لم يترك المال لاهله و يسأل أباه السماوي فيعطيه كل ما احتاج اليه هو وتلاميذه الفقراء الذين لا عمل لهم بعد اتباعه (مت ٤ : ١٩ ـ ٢٢) سوى الانفاق من المال الذي كان يلقى لهم في الصندوق من الناس

فهذا شيء قليل من كثير مما أصبح بعض الافرنج يقولونه في المسيح . ومن أراد أكثر منه فليقرأ مثل كتاب « الحقيقة عن يسوع الناصرة » المذكور آنفا (The Truth about Jesus of Nazareth) واني أستغفر الله من كل هذا

= أن يصطفي من خلقه الفسقة الزناة السكيرين الكذبة الخونة (تك ٢٦ : ٧ و ٢٧ : ١٩) الكفرة (١ ملوك ١١ : ٥ و ٦) الاشرار كما صورهم اليهود لا سامحهم الله

ومما جاء في هذا الكتاب الانكليزي وغيره من تأليف ملحدي النصارى أنفسهم وقال هؤلاء الملحدون أيضا « اذا صح أن يسوع صدق في نبوة واحدة من نبواته فهي قوله (مت ١٠ : ٣٤) (لا تظنوا اني جئت لألقي سلاما على الارض . ما جئت لألقي سلاما بل سيفا) فان الارض لم تخضب بدم اكثر مما خضبها به أتباعه منذ أن صارت لهم قوة ودولة ولم يصدر عن أمة في العالم ماصدر من أمته حتى من رؤساء الدين منهم (١) من ظلم الابرياء والاذى والاضطهاد وسائر انواع المفاسد والمظالم حتى الآن كما هو مشاهد » أنظر مثلاً ص ١٣٠ و ١٣١ من كتاب « الحقيقة عن يسوع الناصرة » ويقولون اذا كانت هذه ثمرة دينه في الارض فبئست الثمرة ، واذا كان ذلك كله مما فعله في ثلاث سنين وهو فقير حقير ضعيف مضطهد (أش ٥٣ : ٣) فكيف به لو كان أوتي عزا ومالا وجاها وملكا كبيرا وعمرا طويلا . لذلك كفر به هؤلاء الناس وكفروا بدينه وبكل ماجاء به وألفوا المؤلفات الضخمة في مطاعنهم وردودهم وصاروا اليوم يدعون الناس في أوربة جهرا الى آرائهم وأفكارهم . فليتأمل في ذلك دعاة النصرانية الذين يطعنون وهم في بلاد المسلمين (خوفا من أن يسمعهم ملحدوهم فيضحكون منهم) يطعنون في محمد بطاعن ضعيفة واهية لاتعد شيئا بالنسبة لما فعله المسيح وما يفعله الآن أتباعه كثيرا كالانتحار وشرب الخمور والربا والمقامرة وحب المال لدرجة الفناء فيه والفسق والخلاعة والتبرج والزنا والقتل والظلم والانغماس في اللذات والشهوات وغير ذلك مما أتت به الى بلادنا مدنيتهم الافرنجية التي يسمونها مسيحية ولا يخجلون ويظنون أن المسلمين يخجلون من حكم الطلاق وتعدد الزوجات في الاسلام وجهاد الاعداء (٢) في سبيل الله بسبب

(١) ولذلك تراهم الآن ، وقبل الآن ، في كل زمان ومكان ، يباركون الجيوش ، ويدعون « يسوع » لأجلها ، ويصلون فرحا بانتصاراتها ونجاحها في سفك الدماء ، وتيتيم الاطفال ، وهتك الاعراض ، وتخريب الديار ، وهدم معالم التوحيد ، وعبادة الرحمن ، واستبدالها بالسجود للصور والصلبان ، وعبادة (ابن الانسان) وهو في الحقيقة من كل ذلك بريء وعليه حاقد ناقم ، وما هم فيه الا متبعون أهواءهم وشياطينهم ، فلا حول ولا قوة الا بالله (٢) ان شئت أن تقرأ بحثا مستفيضا في هذه المسائل كلها فاقرأ رسالتنا « الاسلام » في الرد على اللورد كرومر

ظلهم لنا ، فهذه الاشياء - على فرض قبحها - ليست كالاشياء التي رووها هم أنفسهم عن المسيح وأشرنا الى بعضها هنا ، والحكم عليها بالقبح مع ذلك ليس مما أجمع عليه العقل البشري كسائلهم تلك بل هي أمور اعتبارية ، ألا ترى ان مسألة تعدد الزوجات في الاسلام هي من المسائل التي يختلف الحكم عليها باختلاف عادات البلاد واختلاف أذواق أهلها فهي اقل من مسألة التزوج عند بعض الامم بالاقارب الاقربين مثلا . فنحن وان كنا نستفظع ذلك التزوج بالاقربين ونستقبحه ونمقته الا انه ليس من المسائل المجمع على قبحها بين سائر البشر ، وكذلك عادة رقص النساء مع غير ازواجهن وابداء زينتهن لغير محارمهن هي عندنا قبيحة شنيعة وعند الافرنج حسنة وتعمل رسميا في قصور ملوكهم ، فالخلاف بيننا وبينهم نقول فيه كما قال الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف

فان قيل : اذا كانت هذه المسائل التي حكيتها عن المسيح صحيحة فما جواب المسلمين عنها وهي تنافي معتقدهم في المسيح الذي عظمه القرآن تعظيما ، وان كانت كاذبة فهل يعقل أن الانجيليين وهم أحباب المسيح يخترعونها وينسبونها اليه كذبا ؟ قلت : اننا لا نقول ان كل هذه المسائل اخترعها الانجيليون أنفسهم بل نقول إنها روايات كاذبة افتجرها بعض أعداء المسيح الاولين من اليهود وغيرهم وروجوها بين أتباعه حتى اشتهرت وظنوها روايات صحيحة فدخلت الغفلة على رواة النصرانية (حتى على كتاب الاناجيل) لشدة جهلهم وغباوتهم كما دخلت على كثير من محدثي المسلمين وكتاب السير منهم بعض أشياء من المنافقين والوضاعين توجب الطعن في محمد (ص) والاسلام مع الفرق العظيم بين رواة المسلمين ورواة غيرهم في نقد الحديث كما اعترف بذلك بعض علماء الافرنج أنفسهم (راجع مثلا كتاب « المسحاء الوثنيين » ص ٢٣٨ و ٢٣٩ لمؤلفه المستر روبرتسن J. M. Robertson) . ومع ذلك فقد ترك بعض الانجيليين بعض هذه الاشياء ولم يشر اليها أو ذكرها - لذيوعها بين الناس - بطريقة مخففة لرفع الاشكال بقدر الامكان بحيث لا يرى منها أصل القصة جليا واضحا الا بالرجوع الى الاناجيل كلها أو بعضها وأخذ عبارة فيها من هنا وعبارة من هناك حتى يتم فهم القصة ، كمسألة تردد المسيح على بيت مريم ومرثا في قرية

(بيت عنيا). فان علاقة المسيح بهما وكونهما عاهرتين يحبهما المسيح ويكثر مخالطتهما والمبيت عندهما إلخ انما يستنتج ذلك كله من مجموع مارووه فيهما لا من واحد منهم فقط

ومن أعظم الاسباب أيضا أن بعض هذه المسائل كان يوجد مثلها عند الوثنيين الداخلين في المسيحية كما بيناه في حاشية (صفحة ١٨٥) وقد تأصلت في نفوسهم فلم يهن عليهم تركها فأدخلوها في دينهم الجديد ليجعلوا المسيح كأحد آلهتهم لكي لا يشعروا بالفرق الكبير بين الدينين — شأن البشر فيما ألفوه من آرائهم ومعتقداتهم ـ وقد قبل منهم أكثر النصارى ما أدخلوه جهلا منهم بحقيقة دينهم أو فرحا بهم واستمالة لهم لعلهم لا يرجعون

وربما كان غرض بعضهم أيضا من ذكر هذه المسائل إظهار أن المسيح ـ وهو عندهم يغفر لمن يشاء (لو ٧ : ٤٧ـ ٤٩) وقد أعطى هذه السلطة لتلاميذه أيضا كما سبق (مت ١٨ : ١٨ ويو ٢٠ : ٢٣)ـ فوق الناموس والشريعة وغير مقيد بها وله أن يتصرف فيها كما يشاء ويفعل ما شاء لانه هو واضعها ـ على زعمهم ـ وشارعها للناس (١) وأنه اذا اقترب من المعاصي فلا يقع فيها الا بمشيئته ولحكمة يجهلها الناس ولذلك ترى ان أكثر مثل هذه القصص التي أريد بها غالبا إظهار كبريائه وعدم مبالاته بالناموس وأنه فوق كل شيء واردة في انجيل يوحنا دون غيره أو مستوفاة فيه أكثر ، وهو

---

(١) حاشية : هذا لا يدل على أنهم كانوا يعتقدون ألوهيته حقيقية لانهم يقولون إن ذلك مما أعطاه الله إياه كالقدرة على الخلق وغيره (أنظر يو ١٤ : ٢٤ و ٥ : ٣٠) وقال يوحنا أيضاً (٣ : ٣٥) (الاب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده) وهو صريح كما قلنا مراراً في أن الله هو الذي أعطاه كل شيء فهو عند كتاب العهد الجديد ليس إلها لذاته . فان قيل لعل هذا القول في (الابن) باعتبار الناسوت . قلت ان هذا الناسوت باعتراف النصارى عاجز جاهل كباقي البشر وليس في يده شيء وهو أيضاً حادث ولم يخلق شيئاً من العالم ، وانما الذي في يده ـ بزعمهم ـ كل شيء وخلق العالم (يو ١ : ٣) هو (الله الابن) وهذا بنص الانجيل لم تكن له القدرة من ذاته بل الله هو الذي دفعها له كما قال يوحنا وغيره (أنظر أع ٢ : ٢٢ وأف ١ : ٢٢ و١ كو ١٥ : ٢٧ و٢٨ ومتى ١١ : ٢٧) فكيف إذاً يكون إلها حقيقيا مساويا للأب في كل شيء كما يزعمون ؟!

الانجيل الذي ذكر أيضا (٨: ٢ ـ ١١) قصة عدم رجم المسيح للزانية ونقضه شريعة موسى في ذلك (لا ٢٠: ١٠) (راجع أيضا يو ٤: ٩ ـ ٣٠) وأما عبارة انجيل لوقا (٩: ٥٦) التي تشبه في المبدأ مسألة الرجم هذه فقد وجدوا أنها متروكة من بعض النسخ القديمة وهو دليل على زيادتها فيه ليجعلوا انجيل لوقا كانجيل يوحنا (أنظر يو ٣: ١٧ و ١٢: ٤٧) فيجوز أن يكون اختراع هذه المسائل والقصص هو لمثل ذلك الغرض (أي إظهار أنه فوق الناموس وأنه أكبر من كل شيء) وان كان هذا الاختراع قد أدى الى عكسه فذم الناس المسيح ذما شنيعا بسبب ما نسب اليه، ولكن كتابهم ما كانوا ينتظرون حصول هذه النتيجة المحزنة. وأيضا فقد كان الاستهتار بالشريعة الموسوية وعدم المبالاة بها وبأحكامها أكبر ما سعى اليه بولس وتبعه في ذلك كثير من الامم لسهولته كما هو معلوم، فلذا قالوا عن المسيح ما قالوا فان مبادئهم كانت أقرب الى الاباحية والاشتراكية من أي شيء آخر كما سبق (أنظر صفحة ٥٩ و ١٠٥ و ١٨٧)

أما غرضنا نحن من ذكر هذه المسائل هنا مع اننا نبرأ منها الى الله مرارا ونقفو منها طباعنا والاسلام يحرم علينا نسبتها الى عيسى عليه السلام ويوجب علينا التأدب في حقه وحق سائر الانبياء ـ فهو أن نظهر أننا يمكننا ان نقابل النصارى بالمثل لولا ديننا وآدابنا وأن نُرِيَ متعصبيهم أن الطعن في محمد عليه السلام بالروايات الضعيفة والاحاديث الموضوعة أو بالمسائل المختلف بيننا وبينهم في قبحها وحسنها ليس من العقل ولا من الانصاف في شيء وعندهم في أناجيلهم القانونية (لا الموضوعة) ما يوجب الطعن في المسيح بأشد مما يوجد عندنا في محمد، حتى نفر عقلاؤهم وعلماؤهم في أوربة من المسيح والمسيحية، ومن كان في بيت من زجاج لا يليق به ان كان عاقلا أن يرمي بالحجارة الساكنين في بيوت من حديد

ومما تقدم ترى ان الاعتقاد بهذه الاناجيل ضار بمقام المسيح عليه السلام ضررا بليغا ولا خلاص للناس من كل الاشكالات المتقدمة وغيرها التي أوقعت المفكرين والعقلاء في الالحاد الا بنبذ هذه الكتب والاعتقاد بالقرآن الشريف فانه هو الذي برأ المسيح ـ بالحق ـ من كل عيب ومن كل دعوة الى عقيدة باطلة

ورفع مقامه رفعا حقيقيا عاليا . اما هذه الاناجيل فقد حطته من حيث لا تشعر وهي تسعى في تأليهه بنسبة اقوال اليه تدل ـ لو صحت ولن تصح ـ على جنون قائلها لشدة بساطة كاتبيها وبعدهم عن العلم الصحيح والعقل وشدة تأثرهم بالوثنية ، ومع ان رواية هذه الاناجيل هي عند النصارى أصح الروايات بل مكتوبة بالوحي الالهي ، فقد رأيت ما تؤدي اليه من نسبة ما لا يليق الى المسيح وهو منه براء عليه السلام . فكيف يكون الحال اذا عاملنا النصارى كما يعاملوننا في طعنهم في محمد (ص) وأخذهم بكل سخيف ضعيف من الروايات ؟ ولكن ديننا يحول بيننا وبين ذلك ، وهو أيضا لا يتيسر لنا لأنهم أضاعوا الروايات الاخرى وأغلب الاناجيل ولم يبق الا ما وافق آراءهم وأهواءهم ، ومع ذلك فنحن قد أخذنا بأصح رواياتهم في اعتقادهم وأريناك كيف تؤدي الى الطعن في المسيح عليه السلام ، وهم إنما يأخذون بأضعف الروايات عندنا وأسخفها بل بالموضوع منها وأحيانا يفتجر بعضهم الروايات لنا افتجارا ، فهل أمكنهم مع ذلك كله نسبة شيء قبيح قبحا حقيقيا لمحمد (ص) [1] كخلوته بالزانيات

(١) هذا مع انحطاط الوسط الذي نشأ فيه محمد صلى الله عليه وسلم من أكثر الوجوه عن الوسط الذي نشأ فيه المسيح حيث كانت توجد شرائع اليهود وكتبهم الدينية وآداب اليونان والرومان وكتبهم العلمية والفلسفية وغيرها . وأما أهل مكة والعرب عموماً فكانوا وثنيين جاهلين منغمسين في الشهوات كالخمر وحب النساء وفي سفك الدماء ووأد البنات والسلب والنهب والاذى والقسوة نفاقهم محمد جميعاً بدرجات عالية منذ صغره وكان مثال الكمال بينهم في كل شيء . وأما المسيح فلا نعلم في أي شيء فاق قومه بحسب هذه الاناجيل وجميع تعاليمه الحسنى توجد في كتب اليهود وغيرهم من قبل كما بينه كثير من علماء الافرنج أنفسهم كما ذكرنا سابقا (راجع ص ١١٨ ـ ١٢٠ من هذه الرسالة) نعم نحن لا ننكر أنه نشر هذه التعاليم العالية بين عامة اليهود علما وعملا بعد أن كانت في كتبهم لا يقرؤها الا بعض خاصتهم ويندر وجود من يعمل بها كلها منهم ولذلك قال تعالى فيهم (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) وبسبب عيسى (ص) انتشرت بين العامة والخاصة حتى عرفت في العالم الروماني كله واشتهرت بين الناس الى اليوم ، ولكنها مشوبة بشوائب كثيرة حاول بعضهم كالفيلسوف تولستوي تجريدها منها

وجه لمن وتردده عليهن مرارا هو وتلاميذه ولكن قدميه بالطيب ودهن رأسه به ومسح رجليه بشعورهن، وعدم انكاره على الناس شرب الخمر ومساعدتهم على ذلك بل فرضه عليهم وسكره، وتجرده من ملابسه مرة أمام تلاميذه وعشقه لاحدهم واجلاسه له في حضنه، وكذبه على اخوته، وعقوقه لوالدته ومنعه تلميذه من دفن أبيه، وحقده على كل من لم يؤمن به الخ وهو مع ذلك كله فقير مسكين ضعيف مضطهد، فما بالك اذا أوتي ما أوتيه محمد من الملك والعز والمجد والعظمة وسعة الرزق وطول العمر. وقد حث عيسى تلاميذه - وهو ضعيف - على المقاومة للدفاع عنه وحمل السيوف واستعملها في ذلك وأمر الناس كافة ببغض آبائهم وسائر أقاربهم الاقربين وإلقائه الشقاق والحرب والتفريق بينهم، ثم إن أعظم تعاليمه موجبة لضعة النفس والذل، وهي ليست عملية ولا يمكن إطاعتها وفيها من الغلو ما فيها وتؤدي الى خراب هذا المجتمع - بل القيام ببعضها مستحيل حتى عليه هو نفسه كمحبة الاعداء وهو نفسه لم يحبهم بل كان يسبهم سبا شنيعا (مت ٢٣: ١٣ - ٣٦) ويحقد عليهم وما منعه من الانتقام منهم الا ضعفه كما بيناه. ومن ذلك حثه الناس على بذل «جميع» مالهم للفقراء وعلى عدم اهتمامهم بشؤون الحياة وترك العمل (١) (مت ٥: ٤٤ و٦: ٢٥ و١٩: ٢١-٢٥)

(١) مقتضى هذه التعاليم (مت ٦: ٢٥ - ٣٤) و(لو ١٢: ٢٢-٣١) أن لا يهتم الانسان بشيء من حاجاته الجسدية من مأكل وملبس ومشرب ومسكن وأن يهملها كلها وعلى ذلك تكون قذارة الثوب ورثاثته وسماجة الجسد والمسكن وفساد هوائه والفقر من المستحبات ودلائل التوكل والايمان في المسيحية. فمن من النصارى يعمل بهذه الاوامر؟ واذا عملوا بها فكيف تكون حالتهم الصحية؟ وهل هذه التعاليم تساعد على الاكتشافات والاختراعات وترقي العلوم الطبيعية والهندسية والاجتماعية والاقتصادية والنظامات الدستورية وغيرها من علوم العمران والحضارة والمدنية الاجتماعية؟ وما حاجة الناس الى هذه العلوم اذاً واهمال الجسد والذل والفقر والكسل عن كل عمل دنيوي من أعظم دلائل الفضيلة والطاعة والايمان والتوكل على الله بحسب الانجيل؟ وهل اتهام متعصبي النصارى الاسلام بأنه هو السبب في قذارة المدن وفساد هوائها وضعف صحة أهلها وخرابها واستبداد ملوكها صحيح أم هو مقتضى تعاليم المسيحية التي أخذ بها متصوفو المسلمين ثم عمتهم كلهم حتى أصبحوا أشد تمسكا بها من أهلها الذين أهملوها =

وحضه لهم على عدم التزوج وعلى الخصاء (مت ١٩: ١١ و ١٢) وايجابه الطاعة العمياء

= البتة حتى ضرب بينهم وبينها بسور من حديد كما هو مشاهد في كل زمان ومكان. قارن عبارات كتبهم هذه بقول القرآن (قل انظروا ماذا في السموات والارض) وقوله (وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) وقوله (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه) الآية ونحو ذلك كثير سنذكر بعضه

وقول المسيح بحسب رواية لوقا (١٢: ٢٢ ـ ٣١) «لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون ولا للجسد بما تلبسون ..... تأملوا الغربان أنها لا تزرع ولا تحصد وليس لها مخدع ولا مخزن والله يقيتها . كم أنتم بالحري أفضل من الطيور ..... فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون ولا تقلقوا ..... بل اطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تزاد لكم) ـ فضلا عما فيه من الحض الصريح على ترك السعي والعمل والجد والاجتهاد في الدنيا ـ هو أيضا غير صحيح فان سنة الله في هذا الكون أن الانسان اذا ترك السعي والعمل خسر كل شيء ، ولو طلب ملكوت الله كل يوم الف مرة لما زيد له شيء من مطالب الحياة الا اذا أصبح عالة على الناس يحسنون اليه بشيء من كدهم وعملهم حتى اذا ورث شيئا وترك العمل فيه خسره تدريجيا الى أن يفقده . فاذا اتبع جميع الناس هذه التعاليم أكان العالم يصل الى ما وصل اليه من الرقي والتقدم ؟ وهل ما وصل اليه الافرنج الآن هو بفضل هذه التعاليم المسيحية كما يدعي المبشرون ؟ ومن منهم يعمل بها الا أهل البطالة والكسل أو المتحاذون ؟ وهل هذه الاوامر تتفق مع سنن الوجود ؟ فليجربها من شاء منهم وليترك الاهتمام والعمل ثم ليرنا أي شيء زيد له من مطالب الحياة ؟ أما القرآن الشريف فقال (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وقال (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) وقال (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) وقال (لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) أي في أمورهما معا وما به صلاحهما فأين الثريا من الثرى ؟

وقال القرآن الشريف أيضا (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا. ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا. كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) ونحوه في القرآن كثير وهو يفيد أن من أراد الدنيا وسعى لها سعيها أوتيها

والخضوع للرؤساء بلا قيد ولا شرط لشدة خوفه من قياصرة الرومان، ونصه على أن

= ولو كان كافرا ومن أراد الآخرة كذلك أوتيها وأما من لم يرد الدنيا ولم يعمل لها فلا يؤتى منها ما يؤتاه العاملون ولو كان صالحا تقيا طالبا لملكوت الله وهو الحق كما هو مشاهد بخلاف قول الانجيل فانه يفيد ان من طلب الآخرة ولم يطلب الدنيا أوتي الدنيا أيضا. وقال القرآن (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) فطلب الدنيا شيء وطلب الآخرة شيء آخر ولا يعطاهما الا من طلبهما معا ولا يغني طلب الآخرة وحدها عن طلب الدنيا كما هو صريح الانجيل فان ذلك مخالف لسنن الكون المعروفة ،

وقد كانت هذه الافكار المسيحية من أسباب تأخر المسلمين فانها اتقلت اليهم ممن دخل في دينهم من النصارى الأولين وفشت فيهم مع ترك النصارى أنفسهم لها منذ أن ارتقوا ولو اتبعوها لتركوا كل عمل وكرهوا الحياة الدنيا وعدوها سجنا لهم يجب الخلاص منه بالتجرد عنه حتى يموت الانسان كبعض أهل الهند !! وهي مبادئ لا تتفق مع مبادئ القرآن في شيء كما لا يخفى على الباحثين . يمر في المدن الاوروبية أو في الاحياء الافرنجية الشرقية، في أيام الآحاد، أو الاعياد، وانظر الى جمال الافرنج والافرنجيات وتأنقهم وجمال مساكنهم وملابسهم ومشاربهم ومآكلهم وتمتعهم بسائر أنواع اللذات والشهوات والمسرات وخصوصا التمتع بالنظر الى الكاسيات، العاريات، من الغانيات الحسان، والفتيات الفاتنات الكاعبات، الابكار والثيبات، وقل لي بأبيك في أي شيء تتفق هذه المدنية الاوروبية (أو الرومانية باعتبار أصلها) مع التعاليم المسيحية الحاثة على الفقر والتقشف وترك مطالب الحياة واهمالها كلها، والحاضة على الزهد في الدنيا والناهية عن الاعتناء بالجسد والآمرة بطلب الخبز الكفاف من الله يوما بيوم (مت ٦: ١١) والمحرمة النظر بشهوة الى الاجنبيات (مت ٥: ٢٨) مع أنه لا توجد نساء في الدنيا تبدي من الخلاعة والزينة وكشف أجزاء من أجسامهن واختلاطهن بالرجال والرقص معهم ومنادمتهن معا كؤوس بنت الكروم أكثر من الافرنجيات المسيحيات !! فبأي حق أو عقل يسمون هذه المدنية الاوروبية بالمسيحية وبينهما كما بين السماء والارض، إني والله لا أجد في الدنيا اسما أكذب من هذا الاسم. ولا يصح اعتبار المسيحية الدين الكامل للبشر الخاتم لهم بل كان فقط درجة تمهيدية في ذلك الزمن زمن بعد اليهود عن روح الدين وتعلقهم بقشوره وانتشار المدنية الرومانية وما فيها من الاسراف والترف واللذات والاغراق في الماديات مع عدم ارتقاء العقل البشري الى الدرجة التي ارتقى اليها فيما بعد فأتت =

سلطتهم هي من الله (مت ٢٢: ١٥ - ٢٢ ويو ١٩: ١١) ولذلك قال بولس إتباعا له « ان من قاومهم فقد قاوم ترتيب الله وسيأخذ لنفسه دينونة » (رو ١٣: ١ و ٢) (١)

المسيحية بالغلو " أيضاً لتقدر به على مقاومة كل ذلك وتهيء النفوس لقبول الاصلاح الاسلامي المتاممي الجامع بين مصالح الدين والدنيا ومطالب الروح والجسد والخالي من الافراط والتفريط لعدم حاجة الناس في زمنه الى غلو المسيحية لارتقاء العقول والنفوس عن ذي قبل فيكفيها الاعتدال في بيان الحقيقة على أكمل أوجهها، فهذا هو سبب اختلاف المسيحية عن الاسلام في أوامرها وتعاليمها فانها لاتناسب الا زمنها ولكن الاسلام صالح لكل زمان ومكان ولذلك تجده أقرب الى الفطرة البشرية والعقل من كل دين آخر ولا تجد سواه يتفق مثله مع أصول المدنية الصحيحة والحضارة والعمران والعلم. والذي يدلك على ارتقاء الناس في الجملة علما وعقلا ونفسا في عهده عن ذي قبل (مع أن ذلك من مقررات العلم الحديث القائل بترقي المتأخر عن المتقدم) أنهم كانوا أبعد عن الوثنية، أميل الى التنزيه والتوحيد، وكان عندهم ميل شديد ورغبة عظمى في البحث والنقد والتمحيص حتى حفظت أصول ديننا كلها بدون تحريف ولا تبديل ، وقد بلغوا في علم النقد والفلسفة العقلية مبلغاً لانكون كاذبين اذا قلنا ان الافرنج الى الآن لم يساووهم تماما في ذلك ، ولذلك جاءهم الدين خالياً من التكليف بالمحال ومن الغلو ، معتدلا في جميع ما شرعه لهم، لأنهم كانوا قد ارتقوا عن درجة الطفولية التي كانوا فيها من قبل وأصبح عندهم من التمييز والعقل وقوة الارادة مالم يكن عند الاولين ، ولو جاءت المسيحية معتدلة مثله لما كان لها ما كان من التأثير في تلك العقول الضعيفة ، والنفوس الصغيرة ، ولبقي الناس حيث كانوا ، فتبارك الله أحكم الشارعين

(١) قارن ذلك بقول القرآن الشريف (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم (لاحظ قوله هنا « منكم ») فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) وهو صريح في أن طاعة أولي الامر لاتجب علينا الا فيما لايخالف الدين فان اشتبه علينا الأمر جاز لنا أن نتوقف ونتازعهم فيه ووجب أن نرده إذاً الى الله ورسوله (أي ان كان حيا) حتى لانعمل الا بما وافق الدين وهو يدل على وجوب العمل بالقياس والاستنباط المبنيين على العقل والتفكر فيما أوحاه الله الينا . والرد الى الرسول في زمنه واجب لأنه عليه الصلاة والسلام كان أعقلهم وهو أدرى الناس وأعلمهم بأسرار شريعته ومع ذلك فهو مأمور بالشورى بنص قوله تعالى (وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله)

= ولذلك كان عليه السلام يستشير أصحابه وكان منهم من يعارضه في أفكاره وآرائه حتى كان يرجع عن رأيه لرأيهم ولكن اذا قرر شيئاً بعد الشورى وبعد النظر في الكتاب العزيز ولو خالفهم فيه وجب الاذعان له واطاعته فانه كان يرى مالا يرونه ولذلك قال تعالى (فردوه الى الله والرسول) والرد اليه خاص بزمنه وفي القرآن نحو ذلك من الآيات كثير كقوله تعالى (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) وقوله (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) وقوله (اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) أما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فيرد الامر كله الى كتاب الله أو الى ماعلم منه صلى الله عليه وسلم باليقين ، والذين يردون الامر هم نواب الامة ورؤساؤها وأولياء أمرها لقوله تعالى (ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر «منهم» لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فالمستنبطون الامر من كتاب الله هم هؤلاء الناس الخاصة من المؤمنين لا العامة منهم ويجب عليهم في بحثهم واستنباطهم مشاورة بعضا بعضا بحيث لايستبد أحد بالامر فيهم لقوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) فاذا قرروا شيئا بعد ذلك وجب على عامة الامة اطاعته مالم يكن مخالفا لدين الله فان ذلك بالضرورة لايكون مستنبطا منه، واذا اختلف هؤلاء المستنبطون معا وتساوي عددهم ولم يمكن الترجيح بينهم كان للامة الحق في أن تعمل بما تراه من آرائهم أقرب الى نصوص الدين . هذا هو ما يستفاد من مجموع آيات القرآن في هذا الباب فأي مبادئ أدعى من هذه الى العدل ومنع الاستبداد وايجاب الشورى والتفكر والحرية وعزة النفس ؟ وأي فرق بينها بين نظامات أرقى أمم العالم الحالي النيابية الدستورية؟ والى أي الدينين (الاسلام أم المسيحية) ترى أن مبادئ هذه الامم الراقية أقرب أو أشبه ؟ وأنت ترى أن المسيحية توجب عليك الخضوع للسلاطين ولو كانوا ظالمين وتنص على أن سلطتهم هي من الله وأن من قاومها فقد قاوم الله واستحق عقابه كما قال بولس إرضاء للقوة الحاكمة في زمنه وغفلا لها كعادته (رو ١٣: ١-٧) وقال بطرس أيضا (١ بط ٢: ٣) (فاخضعوا لكل ترتيب بشري من أجل الرب . إن كان للملك فكمن هو فوق الكل ١٤ أو للولاة فكمرسلين منه للانتقام من فاعلي الشر وللمدح لفاعلي الخير الى قوله ١٨ أيها الخدام (أي العبيد) كونوا خاضعين بكل هيبة للسادة ليس للصالحين المترفقين فقط للعنفاء أيضا) فان ذلك من القرآن الذي قال (ولا يعصينك في معروف) وقال (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقال (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) والذي =